المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، ذي القوة المتين، حبيب الطائعين، وأنيس الحاضرين والمسافرين، دليل الحائرين، وسلوة المؤمنين الموحدين، الحمد لله الواحد القهار، مكور النهار على الليل، ومكور الليل على النهار، خلق الأمصار وعمر الأرض بالديار، وباعد بين الأقطار، وكتب على الناس الأسفار.

الحمد لله العالم بهواجس النفوس وخفيات الأعماق، أوجد البشرية بعد أن أخذ عليهم الميثاق، ونثرهم في المعمورة، وقسّم عليهم الأرزاق، وحبّب كل أناس في أوطانهم فسبحان الواحد الخلاق.

الحمد لله العلي القدير، ذي اللطف والتدبير، الذي هون المسير، ومنَّ بالتيسير، وجاء بالرزق الوفير.

الحمد لله كاشف الهمِّ والباس، خالق الجن والناس، المغاير بين الألوان والأجناس، ومحصي الأعمال والأقوال والأنفاس.

والصلاة والسلام على أفضل من حلّ وارتحل، ومكث وانتقل، وسار ونزل، وأقام وسافر، وسكن وهاجر، أقام فكان النور والخير والبركة في إقامته، وسافر فكان الظفر والفلاح والنجاح في سفره، وهاجر فغير وجه الأرض بهجرته، قائد الغرِّ المحجلين، وأعظم المقيمين والمسافرين، وأصدق المرتحلين والمهاجرين، دلَّنا على الخير في سفرنا وحضرنا، وإقامتنا وظعننا، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه وسار على أثره واقتدى به في حضره وسفره إلى يوم الدين.

إليك أخي المسافر فيض علمٍ وفنٌّ كان في صدري حبيسا
وكنت أقول هل سأراه يوماً يضيء بصدق لهجته الطروسا
فأمضى الله لي ما كنت أرجو فكان لقلب قارئه أنيسا

أنيس المسافر: أنسٌ للقلوب، وسلوةٌ للنفوس، وروضةٌ للعقول.

أنيس المسافر: رفيقٌ للطريق، وسميرٌ للوحدة، وبلسمٌ للهموم.

أنيس المسافر: روضةٌ فوّاحة، وحديقةٌ غنّاء، وبستانٌ جميل.

ألحاظه ترجمان منطقِهِ ووجهُهُ نُزْهةٌ لعاشقه
هذّبهُ الظُّرف والجمال فما يَمُرُّ عيبٌ على طرائقه

أنيس المسافر: ضياءٌ في الظلمات، وصديقٌ في الرحلات، ونزهةٌ في المتنزهات ومُخْتَصِرٌ للمسافات.

سلوة لمن فارق الأهل، وغاب عن الوطن، ومشى في مناكب الأرض. إن سافرت فهو أنيسك في الطريق، وإن أقمت فهو لك نعم الصديق.

أنيس المسافر: عزاءٌ لمن فارق وطنه، وحرَّك شجنه، واستثار حزنه.

يسامر من شطّ به المزار، وبعدت عنه الدار، وفقد القريب والجار.

إيْهِ يا طاويَ الربا والبيدِ هل لِمرآك في الدُّجى من مُعِيد
الطريقُ الطويل هدَّم جنبيـ ـك وعدو الهوى وشدو القصيد
سَفَرٌ شاسع كأن مداه رحلة الفكر في الفضاء البعيد

أنيس المسافر: آية تبث السكينة في قلب المسافر فإذا مؤذن الرعاية الربانية ينادي لا تحزن إنَّ الله معنا.

لو قيل للحسن احْتَكِمْ لَمْ يَعْدُها أو قيل خاطب غيرها لم ينطق

تبـدو فيهتـفُ للعيـون ضيـاؤهـا هـام الفـؤاد بهـا لحسـن المنطـقِ

وهو حديث لمن سافر أو أقام، ولمن حَلَّ أو ارتحل. فهو معك في إقامتك بين الأصحاب والأحباب، وهو رفيقك في مواطن الاغتراب.

إنه مزيـجٌ رائـع، وتنويـعٌ ماتـع، آيـةٌ وحديـث، عـبرةٌ وموعظـة، طـرفـةٌ ودعـابـة، قصـةٌ وقصـيدة، هـزجٌ ورجـز، يشـنّف الآذان بحـروف الأنـس، ويُتحـف القلـب بأذكـار الـرب، ويُمـتع النفـس بحـديـث الركـب.

نُظمتْ كما نُظِمَ السحابُ سطُورُهُ ولَكَمْ سهرتُ الليل في تأليفه
هَـذَّبتُـهُ، جَمَّلتُـهُ فـأمِنـتُ مـنْ تصحيفـهِ ونجـوتُ مـن تحـريفـهِ
أفـرغـتُ فيـه محبّتـي ومـودّتـي ومزجت إخلاصي بحبر حروفهِ

فيه قطعٌ متجاوراتٌ صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد من محبة الخير للناس، وإدخال الأنس على النفس، وملاحقة الأسى ومطاردة الغربة ووأد الوحشة.

حديثٌ جميلٌ كلمّا طال موجزٌ حبيبٌ إلى قلب المحدَّث سبّاق
معانٍ كأطواد الشّوامخ جزلةٌ تضمَّنَها عذبٌ من اللفظ برّاقُ
بـه حِكَـمٌ مستنبطـات غـرائـبٌ لهامن ذوي الآداب والفضل عشاقُ

أنيس المسافر: صارمٌ بتار يمزق جيوش الهموم وكتائب الأوهام ووساوس الآلام والغرام والهيام.

إنه دعوةٌ إلى رحاب المتعة والروعة، والاستمتاع بالحياة، والنظر إلى الدنيا نظرة جميلة. إنه يقول لك سافر في ملكوت الله ببدنك وقلبك وعقلك وروحك يدعوك إلى السياحة البريئة، والترويح المحتشم،

والرحلة الإيمانية، والمتعة الربانية. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

إن أنيس المسافر يقول لك: لا تحزن، لا تسأم، لا تهتم، لا تغتم. فوق غصن الشوك زهرة، وتحت دمعة اليأس بسمة، وخلف مرارة الشك برد اليقين، ومع زلزال المصيبة سكينة الثبات وروعة الصبر، وبعد مرارة الوداع روعة اللقاء، وعَقِبَ وحشة الاغتراب الأنس بلقاء الأحباب، وعند محنة الأيام منحة الملك العلاَّم، وإن مع العسر يسرًا. إنه يدعوك إلى الجانب المشرق في لوح الحياة وإلى الصفحة البيضاء في دفتر الوجود، ويدعوك إلى الاستمتاع بالطبيعة الخلابة ومناظرها الجذابة، ويقول لك:

أيُّهـذا الشَّـاكـي ومـا بـكَ داءٌ ... كيفَ تَغْدُو إذا غدوتَ عليلا؟
وترى الشّوكَ في الوُرودِ، وتَعْمَى ... أن تَـرَى فَـوْقَهَـا النَّـدَى إكليـلا
والـــذي نفسُـــهُ بغيـــرِ جَمـــالٍ ... لا يَرى في الوُجودِ شيئاً جَميلاً
كـلُّ مَـنْ يَجمَـعُ الهمـومَ عليـهِ ... أخـذَتْـهُ الهمـومُ أخـذاً وَبيـلا

فهيا بنا أخي الحبيب ننصب شراع المحبة، ونمتط سفينة المودّة لنمخر عباب هذا البحر الهادئ والفرات السائغ، نسافر إلى أعماقه حيث اللآلئ والأصداف، والياقوت والمرجان، فبسم الله وعلى بركة الديان.

د. ناصر الزهراني

ملحوظة: تدخلت في بعض الأبيات الواردة في هذا الكتاب بالحذف أو التعديل أحيانًا وذلك إذا كان فيها خللٌ عقديٌ مثل سب الدهر أو التسخط على القدر أو كان فيها ما يخدش الحياء